المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 01-11-2007 العـــدد : 16262
الصفحـات : 26 المسلسل : 170

ملف صحفي

صداقة راسخة .. وتعاون وثيق .. وتحديات مشتركة

أبعاد الزيارة الملكية لبريطانيا

قراءة - إبراهيم عباس

أجمع المراقبون على أهمية زيارة خادم الحرمين الشريفين لبريطانيا التي بدأت أمس الأول مدشنًا بها جولته الأوروبية التي تعتبر استكمالاً لجولته السابقة التي قام بها في يونيو الماضي وشملت فرنسا وبولندا وإسبانيا ضمن سياسة الانفتاح على دول العالم شرقه وغربه التي باتت سمة بارزة لهذه السياسة . الملك عبد الله الذي يزور بريطانيا بصفته رئيس القمم العربية والإسلامية ودول مجلس التعاون في دوراتها الحالية يمثل بهذه الصفة أكثر من مليار مسلم وعربي ، وهو ما أعطى الزيارة زخمًا غير عادي .

ولعل الصراحة والصدقية والشفافية التي تميز الشخصية القيادية للملك عبد الله أعطت الدلالة واضحة على أن رؤية المملكة لمجمل القضايا التي تهم البلدين ، شاملاً ذلك قضايا التعاون المشترك بما في ذلك التعاون في مجال مكافحة الإرهاب والمجالات الأمنية تحتاج إلى التعامل معها بواقعية ، وهو ما اتضح بشكل جلي عشية الزيارة في الحديث الذي أدلى به خادم الحرمين الشريفين لهيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) عندما أشار بوضوح إلى تقصير العديد من الدول في جهود مكافحة الإرهاب دون أن يستثن بريطانيا من تلك الدول مشيرًا إلى أن المملكة سبق وأن حذرت بريطانيا من الهجمات الإرهابية التي استهدفتها صيف عام ٢٠٠٥ ، وهو العام نفسه الذي شهد انعقاد المؤتمر الدولي لمكافحة الإرهاب الذي تبنته المملكة في فبراير ٢٠٠٥ ودعا إلى إنشاء مركز دولي لمكافحة الإرهاب تحت إشراف الأمم المتحدة كمقترح تقدم به خادم الحرمين الشريفين نفسه ، وحيث رحبت كافة الدول بهذا المقترح لكن دون أن تعمل على تنفيذه على أرض الواقع ، وهو ما يعد تقصير دولي آخر .

فكرة المملكة التي يجسدها المليك المفدى حول الطريقة المثلى في مكافحة الإرهاب تقوم على أساس أهمية المعلومة في جهود المكافحة ، وأن لا تتساهل الدول – بما في ذلك بريطانيا – في مكافحة الإرهاب ، وأن تكون يقظة ليلاً نهارًا كما تفعل السعودية التي حققت نتائج طيبة على صعيد مكافحة هذه الآفة العالمية الخبيثة بشهادة العديد من الساسة والمسؤولين وخبراء مكافحة الإرهاب عبر العالم.

وصف رئيس الوزراء البريطاني جوردون براون للزيارة بأنها فرصة للتطلع للأمام وتنظيم مسار هذه العلاقة في السنوات المقبلة،ووصف وزير الخارجية البريطاني لها بأنها انطلاقة جديدة في العلاقات الراسخة بين البلدين مشيرا إلى الدور المهم الذي يضطلع به الملك عبد الله في تعزيز الأمن والاستقرار وتحقيق العدل والسلام في المنطقة – هذا الوصف المزدوج يعتبر بمثابة شهادة حية على الدور المتنامي الذي تضطلع به السعودية على هذه الصعد، إلى جانب ما يحمله من إشارات ذكية بأن ما شاب العلاقات السعودية البريطانية في السنوات الأخيرة من بعض موجات الانحسار لم يؤد إلى تعكير صفو تلك العلاقات التي اكتسبت قدرًا من المتانة والصلابة والرسوخ عبر العقود المتعاقبة أكسبتها حصانة ضد الهزات التي غالبًا ما تعتري العلاقات بين الدول . كما يحمل هذا الوصف إصرار البلدين الصديقين على مواجهة التحديات التي تواجههما معًا التي عددها السيد براون في عدة نقاط هي الترويج للتجارة العالمية، مواجهة التطرف، الانتشار النووي، وحل النزاعات وتغييرات المناخ ، وما تتطلبه تلك التحديات من الدولتين الصديقتين توخي أفضل السبل لاستخدام إمكانياتهما ونفوذهما بهدف التوصل إلى هدفهما المشترك بالعمل من أجل مستقبل أكثر سلما وعدالة وازدهارا.

استقبال الأمير تشارلز ولي العهد لخادم الحرمين الشريفين في المطار يعتبر أمرًا غير مألوفا ، كما يعتبر استقبال الملكة اليزابيث الحافل لخادم الحرمين الشريفين في قصر بكنجهام وما رافقه من مراسم استقبال رسمية مهيبة دلالة واضحة على

المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــــاريخ : 01-11-2007
الصفحـات : 26
العـــدد : 16262
المسلسل : 170

عمق علاقات الصداقة التي تربط العائلتين الملكيتين، والصداقة الوثيقة التي تربط الملك والعديد من الأمراء والمسؤولين السعوديين بالأمير تشارلز التي أسهمت في تعميق مفهوم الأمير تشارلز للإسلام ورسالته ، وهو ما ترجمه سموه عمليًا من خلال العديد من المحاضرات التي ألقاها في جامعات ومراكز أبحاث بريطانية مرموقة تظهر صورة الإسلام الحقيقية ورسالته العظيمة.

أهداف سامية

جسد خادم الحرمين الشريفين في كلمته التي ألقاها خلال حفل العشاء الكبير الذي أقامته الملكة إليزابيث الثانية لجلالته والوفد المرافق له الأهداف السامية من زيارته – حفظه الله – للمملكة المتحدة التي أتت امتدادًا للزيارات الرسمية التي قام بها إخوته الملوك السابقون -رحمهم الله- وحيث يأتي في مقدمة تلك الأهداف دعم الأسس التي قامت عليها العلاقات التاريخية بين البلدين التي شهدت منعطفًا هامًا عام ١٩٤٥ من خلال اللقاء الذي جمع القائد المؤسس الملك عبد العزيز – يرحمه الله – برئيس وزراء بريطانيا الراحل ونستون تشرشل عام ١٩٤٥ في فندق الأوبرج بالفيوم بالقرب من بحيرة قارون ، هذا اللقاء الذي يعتبر البداية الحقيقية التي وضعت الأسس السليمة للتعاون البناء بين الدولتين. لذا فإن تعميق التعاون بين المملكتين العريقتين ودفعه إلى الأمام في مختلف المجالات إنما يعبر عن رغبة مشتركة بين البلدين. ولم يأت اختيار بريطانيا في مقدمة الدول التي يستهل بها خادم الحرمين الشريفين جولته الأوروبية الثانية في أقل من عام محض صدفة ، فبريطانيا العظمى هي الدولة التي انطلقت منها النهضة العلمية التي أدّت إلى الحركة الصناعية التي أدخلت الإنسانية طوراً جديداً ، وهو هدف آخر من الزيارة عبر عنه الملك في كلمته بأن المملكة تتطلع إلى هذا الإرث الذي لازال حيًا ينبض طلبًا للتعاون الوثيق مع هذا البلد الصناعي المتقدم في المجالات الحيوية التي تتصل بنقل التقنية والتعليم والتدريب والبحث العلمي كون المملكة تؤمن بأن أي تنمية حقيقية يجب أن تبدأ بتطوير الإنسان وتأهيله.

الزيارة – من جهة أخرى- جاءت انطلاقًا من إحساس المملكة بخطورة المرحلة الراهنة التي تمر بها المنطقة التي تلوح فيها مؤشرات الحرب والصراعات ، وما يتطلبه ذلك من التسلح بالحكمة والشجاعة ومعالجة تلك القضايا المتفجرة بروح العدالة والإنصاف تجنبًا للانزلاق نحو حافة الهاوية ، ولذا فهي تمد يدها، بثقة وحزم لكل الأصدقاء الذين يرغبون في تحقيق سلام عادل دائم في منطقتنا وفي بقية المناطق المتفجرة ، وهو ما تتأمله في الحكومة البريطانية التي تترقب منها تقديم العون لإنهاء المأساة التي يعاني منها الأشقاء الفلسطينيون عن طريق سلام حقيقي يصون حقوق كل الأطراف ويقوم على أساس من العدالة ومن قرارات الشرعية الدولية. المحادثات الناجحة التي أجراها خادم الحرمين مع رئيس الوزراء البريطاني جوردون براون والتي تناولت مجمل تطورات القضايا الإقليمية والدولية ذات الاهتمام المشترك والتي قادت السعودية الجهود للتوصل إلى تقدم له معنى في تلك القضايا، خاصة قضية السلام في الشرق الأوسط ومؤتمر السلام المرتقب في الولايات المتحدة -الذي لا يمكن أن يكون له أي معنى بدون مشاركة المملكة – وتطورات الوضع في العراق ودارفور ، والملف النووي الإيراني ، إضافة إلى العلاقات الثنائية بين البلدين وسبل دعمها وتعزيزها في جميع المجالات – كل ذلك يعتبر مؤشرا آخر على متانة ورسوخ علاقات الشراكة الاستراتيجية بين البلدين الصديقين .

حقائق ثابتة

العلاقات الثنائية بين السعودية وبريطانيا التي تعود الى ما يربو على مائة عام من الصداقة والتفاهم والتعاون المشترك والاحترام المتبادل تكتسب أهميتها من عدة حقائق يأتي في مقدمتها وجود جالية إسلامية كبيرة في بريطانيا (الثانية بعد فرنسا بواقع أكثر من ٢ مليون مسلم) .

وقد اتضح اهتمام المليك المفدى بأوضاع تلك الجالية وتواصله معها من خلال مخاطبته لها خلال حفل العشاء الرسمي الذي أقامته الملكة إليزابيث الثانية على شرفه مساء الثلاثاء بقوله:« انتهز هذه الفرصة لأدعو أخواني المسلمين في بريطانيا إلى أن يكونوا مسلمين صالحين وأن يكونوا في الوقت نفسه، مواطنين صالحين يسعون إلى عمارة الأرض لكي ينقلوا الصورة الحقيقية لمبادئ الإسلام الخالدة – مبادئ المحبة والرحمة والاعتدال».

الحقيقة الثانية تستمد أهميتها من كون السعودية حليفًا مهمًا لبريطانيا وشريكا مهما لها في منطقة الشرق الأوسط ، (خامس شريك تجاري للسعودية من جهة الواردات) . كما يوجد في بريطانيا قرابة ٣٠٠٠- ٤٠٠٠ طالب سعودي يدرسون في جامعاتها ومعاهدها في الوقت الذي يعمل في المملكة قرابة الـ ٢٠ ألف بريطاني.

كما أعطى اشتمال الزيارة على عدة فعاليات أقيمت على هامشها زخمًا غير عاديًا لتلك الزيارة. من ذلك عقد المؤتمر الثالث للحوار بين المملكتين برئاسة وزيري الخارجية في البلدين الذي أسفر عن التوقيع على عدد من الاتفاقيات الثنائية بين السعودية وبريطانيا (من ضمنها اتفاقيات ثنائية لمنع الإزدواج الضريبي ومذكرة تفاهم حول التعليم الفني والتدريب وكذا مذكرة تفاهم للتعاون الرياضي بين البلدين) ، ومن ذلك أيضا معرض الصور النادرة الذي أقيم في متحف (فكتوريا وألبرت) في لندن.

كل ذلك يؤكد على نجاح هذه الزيارة التاريخية في تعميق وتوسيع علاقات الشراكة الاستراتيجية بين البلدين ويؤسس لمرحلة جديدة في تاريخ تلك العلاقات الوطيدة تتويجًا للروابط الثنائية المميزة التي تربط بينهما.

المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 01-11-2007
الصفحـات : 26
العـــدد : 16262
المسلسل : 170

خادم الحرمين والوفد المرافق يدخلون مقر اقامة رئيس وزراء بريطانيا (رويترز)